الحصاد المر لشيخ الأزهر طنطاوي

بقلم الأستاذ؛ هاني السباعي

قال الشاعر:

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يُوارَى في ثرى رَمسه
إذا ارعوى عاد إلى جهله كذي الضنى عاد إلى نُكثه

لقد مثل قائل هذه البيتين: صالح بن عبد القدوس المتهم بالزندقة أمام الخليفة العباسي المهدي فلما خاطبه أعجب بغزارة أدبه وعلمه وحسن بيانه وكثرة حكمته فأمر بتخليه سبيله، فلما ولى رده.

وقال: (له ألست القائل: والشيخ لا يترك أخلاقه.. البيتين؟)، قال: (بلى يا أمير المؤمنين)، قال: (فأنت لا تترك أخلاقك ونحن نحكم فيك بحكمك في نفسك).

فحاكمه المهدي ثم قتله سنة 167هـ.

وتصداقاً لما سبق فإن شيخ الأزهر الدكتور سيد طنطاوي لا يترك أخلاقه وأفكاره التي ظهرت إلى العلن منذ أن صار مفتياً رسمياً إلى أن صار على سدة أعرق مؤسسة دينية في العالم الإسلامي... بل إن شيخ الزنادقة قديماً صالح بن عبد القدوس كان يخفي زندقته ويظهر التقشف والزهد ويكثر من المواعظ... أما الشيخ طنطاوي فقد جاهر بفتاوى لو كان المهدي حياً لكان معه شأن عظيم... ونظراً لخلو الساحة من الخليفة المهدي أو الهادي أو الرشيد أو حتى السلطان برقوق! فإن شيخ الأزهر طنطاوي يصول ويجول ويرتع في ساحة لا حامي لها... ولله في خلقه شؤون!

البداية؛ شيخ الهلال:

منذ سنوات كنت أجري حواراً مع فضيلة الدكتور "ع. م" لمجلة كنت رئيس تحريرها، وسألته عن سبب عدم قبوله لمنصب مفتي الديار؟ قال: (كيف أرضى

لنفسي أن أكون شيخ هلال! أطل على النـاس في حلـول شــهر رمضــان ومطــالع الشــهور والأعيــاد؟ كيف أرضى لنفسي أن أكــون موظفــاً تابعــاً لــوزير العــدل، وقد إســتدعاني وزير العــدل فعلاً وقلت له لي شــروط لكي أقبل هذا المنصب، منها؛ أن يكون منصب الإفتـاء مسـتقلاً عن وزير العــدل وأن تكــون دار الإفتــاء هيئة مســتقلة بنفســها تؤخذ فتواها على ســبيل الوجــوب والإلــزام في المحــاكم الجنائية وخاصة في عقوبة الإعــدام وليس على سبيل الاستئناس والتوصية فقط!!).

المهم أن وزير العدل استمع ولم يعلق، وكأنه سـخر من مطالب فضيلة الـدكتور "ع.م"، وظل منصب المفـتي شاغراً بعد وفاة الشيخ عبد اللطيف حمزة سنة 1985م.

وطفقت الدولة تمسح البلاد طولاً وعرضاً لعلها تجد عالمــاً أزهريــاً واحــداً يقبل أن يكــون مفــتي مصــر! فلم يعثروا حتى وجـدوا أخـيراً ضـالتهم في 28 أكتـوبر 1986 بقبــول الشــيخ ســيد طنطــاوي منصب مفــتي الــديار المصرية...

وكـانت بداية صـعود نجم الشـيخ طنطـاوي بفتـاواه المثيرة للجدل!

الطنطاوي مفتياً للديار المصرية:

دخل الشـيخ طنطـاوي دار الإفتـاء الـتي أنشـئت في سـنة 1313هــ الموافق 1895م، نفس الـدار الـتي كـان على سدتها؛ الشيخ حسونة النوواي؛ أول من تولى منصب الإفتاء من سنة 1895 ـ 1899... فكان ترتيبه الخـامس عشر إذ تولى منصب الإفتاء من 1986 - 1996... نلاحظ أن كل المفـتين السـابقين قد تـدرجوا في سـلك القضـاء الشرعي عدا الشيخ طنطاوي الذي كان أسـتاذاً جامعيـا... وسطع نجم الطنطاوي في سماء الأزهر ببركة فتاواه: هذا حلال وهذا حلال!

الطنطاوي شيخاً للأزهر:

لقد أصـدر السـلطان العثمـاني سـليمان القـانوني فرماناً بضرورة تنصيب شيخ لأزهر يختـاره العلمـاء يتفـرغ للإشراف على شئونه الدينية والإداريـة... وفعلاً تم اختيـار الشيخ محمد بن عبد الله الخراشي المـالكي الـذي ينسب

إلى قرية خراش في محافظة البحيرة كأول شيخ للأزهر [1656 - 1690]... فبين شيخ الأزهر الخراشي وشيخ الأزهر طنطاوي ثلاثة وأربعون شيخاً على مدار 348 عاماً.

المهم بعد وفاة الشيخ جاد الحق في 15 مارس 1996 تم تعيين الدكتور سيد طنطاوي شيخاً للأزهر في 27 مارس 1996 رغم أنه كان في ذيل قائمة تضم أكثر من أربعين عالماً أزهرياً إذ تم تصعيده إلى رأس القائمة بقدرة قادر! طبعاً بقدرة تقارير أمن الدولة التي أثبتت أن الشيخ طنطاوي لا يرد يد لامس وخاصة يد رئاسة الدولة!!

ومن عجائب المقارنات الأزهرية: أن هناك تشابهاً بين شيخ الأزهر عبد الرحمن تاج [1954 – 1958] والشيخ طنطاوي... فالشيخ عبد الرحمن تاج يضرب به مثل العالم الذي يكون أداة في أيدي النظام،؛ مثل العالم الذي باع آخرته بدنياه... فهو الذي أصدر فتواه الشهيرة بأحقية الدولة في التجريد من شرف المواطنة - سحب الجنسية - وكان يقصد اللواء محمد نجيب أول رئيس جمهوري لمصر بعد النظام الملكي!!

لكن شهادة حق: فإن الشيخ عبد الرحمن تاج يعتبر قطرة في محيط فساد شيخ الأزهر الحالي... حيث فاق أقرانه وأتى بفتاوى وأقاويل وأحكام لم يأت بها الأوائل!! فالشيخ طنطاوي يفصل الفتاوى حسب المقياس الرسمي للدولة!!

<u>**وهذه عينة من فتاوى وسلوكيات شيخ الأزهر طنطاوي:**</u>

- أفتى طنطاوي بجواز التحاق الفتيات إلى الكليات العسكرية والإلتحاق بالجيش!!

- أفتى بجواز تحويل الرجل إلى أنثى بشرط الضرورة الطبية.

- أفتى بأن تطبيق الشريعة الإسلامية يحتاج إلى وقت طويل يصل فيها الجميع إلى القناعة.

- بارك توصيات مؤتمر المرأة في بكين وقال إن مطالب مؤتمر بكين الخاصة بالمساواة بين الرجل والمرأة لا تتعارض مع الشريعة الإسلامية!!

- أيد طنطاوي الدولة في إغلاق بيوت الله وخاصة الزوايا والمساجد الصغيرة التي كان يتردد عليها بعض أفراد الجماعات الإسلامية.

- أيد قرار رئيس الجمهورية بإحالة أعضاء الجماعات الإسلامية إلى المحاكم العسكرية!!

- لم يطالب الدولة مرة - ذراً للرماد - أن تلغي قانون الطوارئ... كما لم يطالب الدولة صراحة بتطبيق الشريعة الإسلامية وقت أن كان مفتياً إلى أن صار شيخاً للأزهر!!

- في عام 1995 عندما كان مفتياً قام بزيارة إلى أمريكا بمصاحبة القس "صموئيل حبيب" رئيس الطائفة الإنجيلية... وتم حصوله على الدكتوراه الفخرية من جامعة "وستمنستر" بولاية بنسلفانيا!!

أما أهم فتاواه، فهي:

- إباحته للربا وهي الخاصة بشهادات الاستثمار وصناديق التوفير حيث أفتى بأن المعاملات فيها جائزة شرعاً.

- وفي حرب الخليج 1990 كان بوق النظام الرسمي... وقد كان في صف الكويت والسعودية حسب الدور المرسوم له من الدولة!! بل إنه ذهب بنفسه إلى السعودية لزيارة القوات المصرية في حفر الباطن!! وأيد الإستعانة بقوات أجنبية وقال بجواز ذلك شرعاً!!

- نقل الشيخ صادق العدوي من خطابة مسجد الجامع الأزهر إلى مسجد النور بالعباسية ليتولى الخطابة مكانه نظراً لشعبية الشيخ العدوي المتزايدة وكثرة انتقاده للدولة.

- أعلن أنه على استعداد لزيارة فلسطين إذا دعاه ياسر عرفات رغم علمه بأنه لزام عليه أن يحصل على تأشيرة من الكيان - إسرائيل -

- وافق على منع كبار علمـاء الأزهر من الخطابة إلا بتصريح من وزارة الأوقاف.

- منع إعادة طبع فتاوى الشيخ جاد الحق لأن بعضها لا يتفق مع فتاواه.

- تسبب في قطع أرزاق نحو ألفي داعية أزهري من جبهة علماء الأزهر من إدارة الوعظ والإرشـاد بمنعهم من ارتقاء المنابر وقصر ذلك على موظفي وزارة الأوقاف.

- كــان دائم الــتردد على أندية "اللويـــنز" بمصر الجديــدة وغيرها، وهي أندية مشــبوهة تــديرها شـبكات يهودية بهدف السيطرة على العالم والقضـاء على الأديـان وإشــاعة الفوضى الأخلاقية وتســخير الشــباب للتجسس على بلادهم... ذكرت جبهة علماء الأزهر التي أسست في 1946م أن هناك فتوى صادرة من الأزهر في مايو 1985 تحــرم على المســلمين الانتســاب تلك الأنديـــة؛ أندية "اللوينز" و "الروتاري".

- أفـتى بـأن الفلسـطينين الـذين يقومـون بتفجـير أنفسهم ضد أهداف مدنية إسرائيلية ليسوا شهداء... ردت عليه جبهة علمـــاء الأزهر تحت عنـــوان "تبرئة وبيـــان" إعتبرت فيه منفذي العمليات الإستشـهادية في فلسـطين إنهم أفضل الشـهداء، وجـواز قيـام الفلسـطينيين بتفجـير أنفسهم، لأن إسـرائيل دار حـرب وجميع أهلها أهل حـرب ولا حرمة ولا عصمة لدمهم.

- وافق على قـــــرار وزير التعليم بمنع دخــــول المحجبات المدارس إلا بعد موافقة ولي الأمر.

- أفتى الشيخ نبوي محمد العش رئيس لجنة الفتوى بـالأزهر بتحـريم التعامل مع مجلس الحكم العـراقي لأنه مجلس غير شـرعي وأسسه الاحتلال وأن من يتعامل معه يخالف شرع الله.

- زار ديفيد ولش السفير الأمـريكي بالقـاهرة شـيخ الأزهر معترضاً على الفتوى. ثم في 29 أغسـطس 2003 أصـدر طنطـاوي قـراراً بإيقـاف الشـيخ العش عن العمل ونقله إلى منطقة نائية في أطــراف الــدلتا بمصــر. ولم يكتف الشــيخ بــذلك بل أعلن أن الأزهر مؤسسة مصـرية وليس مؤهلاً للفتوى.

- أصدر قراراً بإقالة الشيخ أبي الحسن رئيس لجنة الفتوى السابق بالأزهر بسبب تصريح له بأنه لا يجوز مد يد العون للعدوان الأمريكي على العراق ودعا إلى الجهاد ضد هذا العدوان.

- أحال عالمين ضريرين - هما الدكتور إبراهيم خليفة رئيس قسم التفسير بكلية أصول الدين، والدكتور حسن محرم أستاذ العقيدة بنفس الكلية - إلى التحقيق بتهمة توزيع منشورات تسئ إلى مقام الإمام الأكبر شيخ الأزهر!!

- استصدر قراراً من محافظ القاهرة يحمل رقم رقم 318 لسنة 1998م بحل جبهة علماء الأزهر وتعيين إدراة موالية له.

- التقى حاخام إسرائيل الأكبر "مائير"، ومن قبله سفير إسرائيل في مصر.

- تحت مسمى تطوير الأزهر؛ أيد القانون الذي يقلص سنوات الثانوي الأزهري من أربع إلى ثلاث سنوات.

- أحال الدكتور إبراهيم الخولي والدكتور محمود حماية إلى التحقيق وكذلك الدكتور يحيى إسماعيل الذي غادر مصر إلى إحدى الدول العربية الذي لاحقه شيخ الأزهر قضائياً... كل ذلك بسبب معارضتهم لفتاواه الضالة!

- قال؛ أن المرأة تصلح أن تكون رئيسة للجمهورية وأنها تتمتع بالولاية العامة التي تؤهلها لشغل المنصب.

- فتوى صك غفران لوزير الداخلية الفرنسي "نيكولاس سركوزي" ورئيسه "شيراك"؛ من حقهم سن قانون بحظر الحجاب!! افعلوا ما شئتم بالمسلمين فقد غفر لكم شيخ الأزهر!! أما مسلمات فرنسا فإما أن يخلعن الحجاب ويدخلن في دين الملك.. فأهل فرنسا أدرى بشعابها! وإما أن يرحلن عن فرنسا أو يشربن من نهر السين أو البحر المتوسط!

صفوة القول:

خلاصة القول في الشيخ سيد طنطاوي؛ أنه اختير بعناية من قبل النظام... وكان رجل المرحلة التي تمر بها الدولة المصرية المأزومة دائماً!! والدولة لم تقصر معه فالرجل جاء من صعيد مصر شبه معدم مادياً والآن صارت له قصور ولأبنائه.

اللهم لا إعتراض، إلا سؤال بريئ على الطريقة العمرية: من أين لك هذا يا شيخ الإسلام!! قد يفسر هذا سر انبطاح الطنطاوي لكل رغبات الدولة... بل إن الرجل نظراً لزلة ما صار يعمل آلياً إذ لديه قرون استشعار عجيبة يعرف بوصلة الدولة أين تتجه... فيتفي بدون طلب على طريقة: اللبيب بالإشارة يفهم! وهو لبيب جداً في هذا المجال!!

إن الشيخ طنطاوي يتصرف مع علماء الأزهر بأخلاق زعيم عصابة... أخلاق جلاوزة التعذيب وليس أخلاق الشيوخ؛ حملة مصابيح الهدى!!

يجب أن يحاكم هذا الرجل تاريخيا وشرعياً؛ لمخالفته لما هو معلوم من الدين بالضرورة ولضربه صريح النصوص القرآنية عرض الحائط، ولولائه لأعداء الأمة الإسلامية، ولاستهزائه بعلماء الإسلام والتنكيل بهم لحساب قوى الشر... مع حسابه عن استغلاله لنفوذه في تكوين ثروة توجب المساءلة...

لزام على علماء الأزهر أن يتصدوا لهذا الرجل لأنه صار منكراً يجب دفعه شرعاً وعقلاً بالطرق المتاحة قدر المستطاع.

للأسف الشديد؛ لقد كان تصدر هذا الرجل لأعرق مؤسسة دينية في العالم الإسلامي السني إهانة بحق لتاريخ هذه المؤسسة، وإهانة مضاعفة لكل مشاعر المسلمين في أنحاء المعمورة.. فالطنطاوي لم يكن أهلاً لمنصب الإفتاء، ولم يكن جديراً بمنصب شيخ الأزهر!!

فالأزهر ليس مؤسسة مصرية فحسب بل هو مؤسسة عربية وإسلامية لكل المسلمين في سائر أنحاء العالم الإسلامي.

لكن الأزهر الشريف في عهد شيخ الإسلام الطنطاوي! صارعتبة مقدسة لبني صهيون، وكعبة مشرفة

لساسة الـبيت الأبيض وقصر الإليزيـه!! ومرتعـاً لكل من هب ودب من جواسيس العالم!!

صـار الأزهر ودار إفتائه في عهـده الميمـون! بورصة فتاوى... صعوداً وهبوطاً حسب مزاج الدولة وتوجهاتها!

في عهد شـيخ القصـرالجمهوري طنطـاوي! تصـرخ مـآذن الأزهر وأروقته وجدرانه على لسـان شـاعر النيل حافظ إبراهيم:

مَنْ المداوي إذا ما علةٌ عرضتْ من المدافعُ عن عرض وعن نشبِ
ومنْ يميطُ ستارَ الجهل إن طُمستْ معالمُ القصد بين الشك والرّيَبِ

لقد اختطف طنطـــاوي الأزهر وحبسه في أحد أزقة القـاهرة الضـيقة... الأزهر العملاق الـذي كـان يثـور على قـــوى الظلم والبطش وكـــان معقل الثـــوار ودرب المجاهدين... حبسه الطنطـاوي في قمقم؛ مفتاحه في يد نظام فاسد متآمر آيل للسـقوط لا يـرقب في أمة العـرب والإسلام إلا ولاذمة!!

من عجـائب الـدهور حقـاً أن يكـون على رأس مصر ناطور خشبي وعمامة خشبية وصدق المتنبي إذ قال:

وكم ذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكا